سلسلة الثقافة الإسلامية

(١١٧)

# نسيان اللّه

محمّد مهدي الآصفي

اسم الكتاب: ................................................. نسيان الله
المؤلف: ....................................... محمّد مهدي الآصفي
الطبعة الأولى: .................................. ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢م
الكمية ........................................................ ٥٠٠٠ نسخة
المطبعة:...... مطبعة مجمع أهل البيت عليهم السلام النجف الأشرف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُواْ اللّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾

التوبة/٦٧.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾

الحشر/١٩.

**نسيان اللّه:**

في القران الكريم نقرأ على الأقل آيتين في عقوبة اللذين ينسون اله تعالى، الأولى من سورة التوبة والثانية من سورة الحشر: ﴿**الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُواْ اللّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾التوبة/٦٧.

﴿**وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾الحشر ١٩.

عقوبة نسيان الله في آية سورة التوبة أن ينساهم الله، وعقوبة النسيان في آية الحشر أنّ الله ينسهم أنفسهم فهاتان مصيبتان في حياة الإنسان:

أن ينسى الله الإنسان، وأن يُنْسي الله الإنسان نفسه، تضاف إليها المصيبة الأم، وهي نسيان الله فتكون ثلاثة مصائب في حياة الإنسان هي من أعظم مصائب الإنسان.

**ذكر اللّه:**

نعرف معنى (نسيان الله)من مقابلتة لذكر الله.

فان الذكر في مقابل النسيان، وذكر الله في مقابل نسيان الله.

وقد جعل الله تعالى لذكره موهبتين عظيمتين في حياة الإنسان، مقابل اللتين سلبها من الناسين له :

الأولى: أن الله تعالى يذكر الذاكرين له بقوله تعالى: ﴿**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ**﴾ البقرة/١٥٢.

والثانية: إنَّ الله تعالى يُذَكِّرُ الذاكرين له تعالى بالأخطار التي تهددهم من ناحية الشيطان، وينبههم إليها، ليحذروها بقوله تعالى ﴿**إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ**﴾ الأعراف/٢٠١.

فيجزيهم الله بذكره تذكيراً لهم بأنفسهم، وتذكيراً لهم بأطافة الشيطان بهم، لينفذ إلى قلوبهم ونفوسهم وهذه هي البصيرة التي يرزقهم الله بالتذكير (فاذا هم مبصرون).

فالآية الكريمة تَهْدي للمتقين (والمتقون من الذاكرين) موهبتين:

الاولى (تذكروا)، والثانية (فاذا هم مبصرون)

والاولى هي نتيجة تذكير الله تعالى لهم، والثانية نتيجة الاولى.

وسوف نتحدث أنشاء الله في هذه المقالة عن كل من العقوبتين اللتين يعاقب الله بها الناسين لذكره :

١- نسيان الله تعالى للإنسان.

٢- انساء الله تعالى للإنسان لنفسه.

## ١ـ نسيان اللّه تعالى للإنسان

أن الله تعالى ليس بنسّاء، لا ينسى ذاكراً، ولا غافلاً، ولكن يهمل الغافلين عنه، الممعنين في الغفلة والنسيان، رغم التحذير والتذكير، يُسَقِّطُهُمْ عن عين رعايته، فلا يسددهم، ولا يُذكرّهم، ولا يحيطهم بفضله ورعايته ويكلهم إلى أنفسهم .

والله تعالى إذا ذكر عبده رَحِمَهُ، وَغَفِرَ له، وسدده، وأيده، وهداه، وثبت أقدامه، ورزقه الأقبال عليه ويوفقه، للمناجاة والدعاء، ويستجيب لدعائه، ويلقنه الذكر، ويُبَصّره ويهديه، ويكرمه، وينصره، ويعزه، ويقربه أليه، ويشعره بهذا القرب، ويطعمه لذة الذكر والشكر، والدعاء والصلاة، ويعيذه من الشيطان ، ومن الهوى، ويحفظه من العذاب، ومن مزالق الطريق.

وإذا نسى الإنسان الله تعالى، واعرض عنه تعالى، رغم كل التذكير والوعد والوعيد، ورفض كل نداءات التذكير من جانب الله، عاقبه الله تعالى وسلب عنه كل المواهب التي يهبها للذاكرين، وَوَكَلُه إلى نفسه في الدنيا والآخرة (نسو الله فنسيهم) وهذا النسيان عام يشمل الدنيا والآخرة .

وفي الآخرة خاصّة يقول الله تعالى ﴿**وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا**﴾ الجاثية/٣٤.

وقد ورد في أدعية أهل البيت عليهم السلام هذا المعنى كثيراً: يسأل العبد ربه سبحانه، أن لا يواخذه بغفلاته ونسيانه، فلا يَكِلُهُ إلى نفسه، ولا يمقته، ولا يكشف عنه ستره.

ففي الدعاء:

(اللهم صلي على محمد وال محمد، ولا تؤمننا مكرك، ولا تنسنا ذكرك، ولا تكشف عنا سترك، ولا تحرمنا فضلك، وتحل علينا غضبك، ولا تباعدنا من جوارك، ولا تنقصنا من رحمتك، ولا تمنعنا عافيتك، ولا تؤيسنا من روحك، ولا تهننا بعد كرامتك، ولا تضلنا بعد إذ هديتنا)[١]

وفي البلد الأمين للشيخ الكفعمي ألعاملي في أدعية يوم السبت:

(ولا تنسنا ذكرك، ولا تحظر علينا من رزقك ورحمتك، ولا تَكِلْنا إلى أنفسنا، ولا توا خذنا بجهلنا، ولا تُهنّنا بعد أذا كرمتنا، ولا تضعنا بعد إذ رفعتنا، ولا تذلنا بعد إذ أعززتنا، ولا تخذلنا بعد إذ نصرتنا، ولا تفرقنا بعد إذ جمعتنا، ولا تشمت بنا الأعداء)[٢].

---

١- من أدعية تعقيبات صلاة العشاء.

٢- البلد الأمين للكفعمي أدعية أيام الأسبوع دعاء يوم السبت

## الأقسام الثلاثة لعلاقة اللّه تعالى بعباده في نصوص الأدعية:

تقرأ في نصوص الأدعية المرويّة عن أهل البيت عليهم السلام أقساما ثلاثة في علاقة الله تعالى بعباده :

الأول: منها أن يكون الله تعالى وكيلا بعباده يتكفل بأمورهم جميعا .

والثاني : أن يكلهم إلى أنفسهم.

الثالث: أن يكلهم إلى الناس.

والحالة الأولى في علاقة الله بعباده، وهي الحالة المحمودة، تعبّر عن رضا الله تعالى عن عبده.

والحالة الثانية والثالثة تعبران عن سخط الله على عبده.

ونشرح فيما يلي هذه الأقسام الثلاثة من علاقة الله تعالى بعباده من خلال نصوص الأدُعية.

## الحالة الأولى:

أن يتولى الله تعالى شؤون الصالحين من عباده جميعا، فيرعاهم، ويهديهم، ويرزقهم، ويلهمهم التقوى، ويذيقهم طعم الذكر والشكر والصلاة وتلاوة القران، ويرزقهم المعرفة، ويتوب عليهم، ويكسبهم الخير، ويصرف عنهم الاسواء.

وهذه هي الولاية الإلهية الخاصة للمؤمنين

ولله تعالى ولايتان على عباده.

الولاية العامة وهي التي تعم الناس جميعا. والولاية الخاصة تخص الصالحين من عباد الله.

يقول تعالى: ﴿**اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ**﴾البقرة/٢٥٧.

ونقرا في المناجاة الشعبانية المروية عن أمير المؤمنين عليه السلام طرفا من هذه الولاية الخاصة.

(الهي تول من أمري ما أنت أهله، وعُدْ عليَّ بفضلك على مذنب)

وفي دعاء اليماني المروي مرسلا عن أمير المؤمنين:

(ولا تنسني ذكرك، ولا تكشف عني سترك، ولا تقنطني من رحمتك، ولا تباعدني من كنفك وجوارك، وأعذني من سخطك، وغضبك، ولا تؤيسني من رحمتك وروحك، ولا تسلط عليه أحدا من خلقك، ولا تحوجني إلى غيرك، ولا تفقرني إلى سواك، ولا تفقرني من فضلك ويدك، ولا تخيبني من نوالك، ولا تطردني من جنابك، ولا تنزع مني بركتك وعافيتك، وكن لي انيسا من كل روعة ووحشة، واعصمني من كل هلكه).

**الحالة الثانية:**

والحالة الثانية أن يَكِلَ الله تعالى أمر عبده أليه والى أهوائه وشهواته، ويصرف عن عبده رعايته وتسديده ونوره، وذلكَ أذا أعرض العبد على الله وأمعن في معصية الله، ودعاه الله فلم يستجب، وذكرّه فلم يَذَّكِر واقبل على عبد فقابله عبده بالأعراض عنه، عندئذ يَكِلُ الله تعالى أمر عبده أليه.

وقد ورد في أدعية أهل البيت عليهم السلام كثيرا: التعوذ بالله من أن يكل أمرنا إلى أنفسنا.

وقد تكررّ في الدعاء.

(الهي لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا تردنا على أعقابنا، ولا تزل أقدامنا، ولا تزغ قلوبنا)

(اللهم يا ذا القدرة الجامعة، والرحمة الواسعة، والمنن المتتابعة، والآلاء المتواترة، والايادي الجليلة، والمواهب الجزيلة، صل على محمد وآل محمد الصادقين، وأعطني سؤلي، أجمع شملي، ولم شعثي، وزك عملي، ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني، ولا تزل قدمي، ولا تكلني الى نفسي طرفة عين أبدا، ولا تخيب طمعي، ولا تبد عورتي، ولا تهتك ستري، ولا توحشني ولا تؤيسني، وكن لي رؤوفا رحيما، واهدني وزكني وطهرني وصفني واصطفني وخلصني واستخلصني واصنعني واصطنعني، وقربني إليك ولا تباعدني

منك والطف بي ولا تجفني، وأكرمني ولا تهني، وما أسئلك فلا تحرمني، وما لا أسئلك فاجمعه لي برحمتك يا أرحم الراحمين)[1].

وهذه الحالات التي ورد في الدعاء هي مال العبد أذا وكله الله إلى نفسه.

والعلاقة بين أنَ يَكِلَ الله تعالى أمر عبده إلى نفسه، وما ورد في هذه النصوص، علاقة معادلة ومساواة.

فإنّ الله تعالى إذا وَكَلَ أمر عبده أليه زلت قدمه، ذلك إن الله هو الذي يحفظ عبده من المزالق والعثرات، فإذا وكله إلى نفسه زل قدمه، والله تعالى هو الذي يهدي قلب عبده، فإذا وكله إلى نفسه فقد زاغ قلبه، وهو الذي يستر عبده فإذا وكله إلى نفسه فضحته عوراته، وهو الذي يؤنس وحشة عبده، فإذا وكله إلى نفسه فقد أوحشه، وهو الذي يبعث الأمل والرجاء في نفس عبده، فإذا أوكله الى نفسه فقد أيسه، وهو الذي يكرم عبده، فإذا وكله إلى نفسه فقد أهانه.

---

١- بحار الانوار: ٦٦/٩٩.

**الحالة الثالثة:**

الحالة الثالثة أن يكل الله تعالى أمر عبده إلى الناس، وهذه الحالة كالحالة الثانية تُعَبّر عن سخط الله على عبده وإعراضه عن عبده، كما اعرض عنه تعالى عبده:

لمّا انصرف رسول الله ﷺ من الطائف، وقد أغرى اهلها سفهاءهم برسول الله ﷺ، ورموه بالحجارة، فعمد رسول الله ﷺ إلى جل من عنب فجلس عنده، وأقبل على الله تعالى يناجيه بهذه الكلمات:

(اللهم أني اشكوا أليك ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهوائي على الناس، أنت ارحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني، إلى بعيد يتجهمني، أو إلى عدو ملكته أمري، أن لم يكن بك علي غضب، فلا أبالي، ولكن عافيتك أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل علي غضبك، أو يحل علي سخطك. لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك).

وقد ورد الكثير من التعوذ بالله من أن يكل عبده إلى نفسه أو إلى الأخرين، في أدعية رسول الله ﷺ وأهل بيته وأولياءه الصالحين.

## ٢ـ إنساء الله الإنسان لنفسه

يقول تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾الحشر/١٩.

ونتحدث ألان عن العقوبة الثانية لنسيان الله.

وقد ذكرنا من قبل أنّ الإنسان أذا نسى الله تعالى بعد تذكير وتأكيد في التذكير يعاقبه الله بعقوبتين:

العقوبة الأولى: أن ينساه الله، وقد تحدثنا عنه بقوله تعالى (نسو الله فنسيهم).

العقوبة الثانية: أن ينسيه الله نفسه، بقول تعالى: (نسو الله فأنساهم أنفسهم).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام:(من نَسِي الله أنساه نفسه)[1].

وعنه عليه السلام أيضا (من نسى الله سبحانه أنساه وأعمى قلبه)[2].

---

١- عذر الحكم للامدي ٧٧٩٨-٨٨٧٥

٢- عذر الحكم للامدي ٧٧٩٨-٨٨٧٥

ونسال ألان :

ما هي العلاقة بين الجريمة والعقوبة؟

(نسو الله ——◄ فأنساهم أنفسهم)

وهذا هو السؤال الأول.

والسؤال الثاني: كيف يُنْسى الله الإنسان نفسه؟ واليك الإجابة على السؤالين.

**الإجابة على السؤال الأول.**

## العلاقة بين الجريمة والعقوبة:

للعقوبات الإلهية نظامان (النظام التشريعي للعقوبات) و(النظام التكويني للعقوبات) ولكل من هذين النظامين خصائص.

**١- النظام التشريعي للعقوبات:**

مثل قوله تعالى ﴿**الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ**﴾ النور/٢، وقوله تعالى ﴿**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾المائدة /٣٨، وأمثالها من العقوبات التشريعية في الإسلام وأنواعها

ثلاث (القصاص، والحدود، والتعرير) وهو نظام يجري في الحياة الدنيا خاصة.

**٢- النظام التكويني للعقوبات:**

وفي هذا النظام: العلاقة بين العقوبة والجريمة علاقة تكوينية بين الأسباب والنتائج، كالمريض الذي لا يأخذ الحمية والدواء فيشتد به المرض، والطالب الذي لا يجتهد في الدروس، فيفشل في الامتحان.

وهذا النوع من العقوبات يعم الدنيا والآخرة، وأمثلة ذلك في القران الكريم كثيرة، مثل قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى**﴾ طه/١٢٤، وقوله تعالى ﴿**فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللّهُ مَرَضاً**﴾ البقرة/١٠. وقوله تعالى ﴿**وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيراً**﴾ النساء/١١٥، أي نُخَلّي بينه وبين ما يريد، ونكله إلى نفسه، ومنه قوله تعالى في عقوبة الاستدراج: ﴿**وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّمَا نُمْلِي**

لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْماً وَلَهْمُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ آل عمران/١٧٨.

## عقوبة الإنساء:

ومن العقوبات الإلهية في نظام التكوين عقوبة الإنساء، يعاقب الله تعالى بها عباده الذين ينسونه فينسيهم أنفسهم.

يقول تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾الحشر/١٩.

إنّ الله تعالى يريد من عباده الذكر والوعي والإقبال على الله، ويبغض لعباده الغفلة والنسيان والأعراض عن الله.

## الذكر والتذكير:

وفي مقابل هاتين العقوبتين للناسين لذكر الله وهما (النسيان والانساء) نقرا في القران جزاءين للذاكرين لله تعالى وهما ذكر الله تعالى للذاكرين له سبحانه وتذكير الله لهم بقوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ﴾ البقرة/١٥٢، وهذا هو الذكر. يذكر العبد ربه سبحانه فيذكره الله تعالى.

والجزاء الأخر للذاكرين التذكير بقول ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ الأعراف/٢٠١، المتقون من الذاكرين بالتأكيد ومن يتق الله أذا تعرض لمس الشيطان ولو من بعيد يذكرهم الله تعالى بخطر الشيطان فيتذكرون، ويبصرهم الله فيبصرون الشيطان ويحذرونه ــ وقد تحدثنا عنهما.

**الإجابة على السؤال الثاني:**

كيف يُنْسى الله تعالى الإنسان نفسه؟

وكيف يَنسْيَ الإنسان نفسه؟

للإجابة على هذا السؤال ننطلق من الآية ٢٤ من سورة الأنفال المباركة يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾الانفال/٢٤.

لا شيء أقرب إلى الإنسان من نفسه ألبته. وهذه الحقيقة من بديهيات العلم.

والمقصود بالقلب في آية الأنفال نفس الإنسان، فلا يكون شيء اقرب إلى قلب المرء من المرء نفسه، ولكن الله يقول (أن الله يحول بين المرء وقلبه) ومعنى ذلك أن الله تعالى أقرب إلى قلب المرء من المرء نفسه، وانه تعالى يحول بين المرء وقلبه.

ومعنى هذه الحيلولة: أن الله يحجب الإنسان عن نفسه، فلا يدرك الإنسان نفسه، كما خلقها الله تعالى، ولا يتمكنّ الانسان عندئذ من أن يستخدم المواهب التي أودعها الله تعالى في نفسه.

فالقلب خزانة الله تعالى، أودع الله فيه من المواهب والعجائب ما لا يمكن عدّه وإحصاؤه إلا بمشقة. وهذه المواهب كنوز جعلها الله تعالى في إختيار الإنسان، فإذا اغضب الله تعالى على عبده حال بينه وبين نفسه والمواهب التي أودعها تعالى في قلبه، اولاً، وحال بينه وبين استخدام هذه المواهب فيما يصلح حاله ثانياً، وكان مثله كمن يملك مالاً كثير يمكنه أن يوظفه في شؤون معيشية، ولكنه ينسى أن له ذهباً ومالاً كثيراً، وبالضرورة يعجز من استخدامه في

شؤونه، فيعيش فقراً وبؤساً وحرماناً وقد آتاه الله مالاً كثيراً، إلا انه قد نسيه ولم يتمكن من استخدامه في شؤونه.

كذلك أولئك الذين يحول الله تعالى بينهم وبين أنفسهم ويحجبهم عن أنفسهم، ينسيهم أنفسهم وما أودع في نفوسهم من المواهب، فلا يعرفون ماذا أودع الله تعالى في نفوسهم من المواهب. وبالضرورة يعجزون عن إستخدامها فيما يصلح حالهم، فيعيشون حالة الضياع والحرمان والبؤس والشقاء، وقد آتاهم الله تعالى من رحمة، ما لا يحصيه ويعده العادون.

ذلك إذ اعرض العبد عن الله، وعارض الله تعالى في ملكه وسلطانه ودينه وشاق الله عز وجل ولم يستجب لدعوته ودينه.

أما أذا استجاب الإنسان لدعوة الله ورسوله، فإنّ هذه الدعوة تحيي قلبه، ونفسه، وروحه، وعقله، وفؤاده.

فإنّ هذه الدعوة مُحْييه تُحْيي العقول والقلوب والأفئدة ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ**﴾ الانفال/٢٤.

فإذا اعرض الإنسان عن هذه الدعوة المحيية، وعارضها عاقبه الله تعالى، فحال بينه وبين قلبه وحجبه عن قلبه وما أودع الله تعالى في قلبه من المواهب، وأعجزه عن استخدامها وتوظيفها لصالحه، وأبقاه في الفقر والبؤس والحرمان والشقاء (أن الله يحول بين المرء وقلبه)

وهذه عقوبة الإنسان الذي يعرض عن دين الله ودعوته في الدنيا، وله بعد ذلك عقوبة قاسية في الآخرة(وانه أليه تحشرون).

ولان بعد هذا التوضيح لأنساء الله تعالى الإنسان نفسه ونسيان الإنسان لنفسه من خلال آية الأنفال ٢٤ ... بإمكاننا أن ندخل هذا البحث بشكل أوسع من خلال دراسة علاقة الإنسان الذاتية لنفسه، وهي مقولة من أوضح المقولات النفسية، وفي نفس الوقت من أخفى المقولات النفسية، لان هذه العلاقة تختفي غالباً في دهاليز النفس البعيدة والمظلمة، واليك توضيحاً لهذه العلاقة.

## شبكة العلاقات الإنسانية

يقع الإنسان وسط شبكة من العلاقات ذات إبعاد أربعة بالشرح التالي:

١- العلاقة بالله تعالى، وهي أعظمها، وأهمها، ومنها كل قيمة الإنسان.

٢- العلاقة بالناس من أصدقاء وأعداء وأفراد وجماعات وأمم وشعوب وقبائل وأسرته وأرحامه، وهي شبكة واسعة كبيرة، يعيش الإنسان وسط هذه الشبكة، وينظم علاقاته بهذا الوسط الإنساني الواسع، سلباً، وايجاباً، مودة، وتعاونا، أو رفضا، وتقاطعا، حسب نظام الولاء والبراءة الذي يرسمه الإسلام للمسلمين.

٣- العلاقة بالطبيعة والأشياء. وهي علاقة وثيقة أحكمها الله تعالى على الإنسان فإنّ هذه الأرض وما فيها من المواهب والنعم الآلهية، والانسان يتعامل مع الطبيعة بالضرورة ويستفيد منها، ونظّم الإسلام هذه العلاقة ضمن أنظمه وتشريعات واسعة.

٤- علاقة الإنسان بذاته. ونسميّها بالعلاقة الذاتية، وهي بعد علاقة الإنسان بالله، من أهم وجوه العلاقة في حياة الإنسان.

وللعلاقة أيَّه علاقة، بالله تعالى، أو بالناس، أو بالطبيعة، أو بالذات، تاثير عظيم في سعادة الإنسان وشقائه.

ولكن أعظم هذه العلاقات تاثيراً في سعادة الإنسان وشقائه هي العلاقة الأولى أولا ثم العلاقة الرابعة.

وتخفي هذه العلاقة على الإنسان كثيرا، فيعادى الإنسان نفسه، ويكذبها، ويهينها، ويظلمها، ويهلكها وهو لا يعلم، وقد كانت هذه العلاقة خافية على(علم النفس) المعني بهذه العلاقة، وهو أفق واسع من أفاق النفس البشرية، غير أن علم النفس لم يكن قد فتح هذه الأفاق من النفس الإنسانية قبل القران.

## العلاقة الذاتية في القران:

وأول كتاب نعرفه فتح أمام الإنسان هذا الأفق هو القرآن، وأول مرة في تاريخ الثقافة والعلم نجد أن القرآن يكشف عن حالة جديدة في شبكة علاقات الإنسان وهو علاقته بنفسه وهذه العلاقة قد تكون سلبية، وقد تكون ايجابية، وقد سمينا هذه العلاقة بالعلاقة الذاتية.

واتلوا عليكم ألان  آيات من كتاب الله لتجد اهتمام القران بهذه العلاقة ايجابا وسلبا.

يقول الله تعالى: ﴿**يُخَادِعُونَ اللّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُم وَمَا يَشْعُرُونَ**﴾البقرة/٩.

﴿**وَمَا ظَلَمُونَا وَلَـكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**﴾البقرة/٥٧.

﴿**بِئْسَمَا اشْتَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَا أنَزَلَ اللّهُ**﴾ البقرة/٩٠. ويعني بئس ما باعدوا أنفسهم أنفسهم عندما كفروا بالله فقد باعوا أنفسهم واشتروا بها غضب الله تعالى وسخطه وعذابه.

فبئس البيع وبئس الشراء ﴿**وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ**﴾البقرة/١٠٢

﴿**وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ**﴾ آل عمران/٦٩

﴿**الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ**﴾ الانعان/١٢

﴿**انظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ**﴾ الانعام/٢٤

وآيات القرآن في العلاقة الذاتية للإنسان بنفسه كثيرة، لسنا بصدد إحصائها وإستقصائها.

وهذا الحديث عن علاقة الإنسان الذاتية بنفسه يصلح أن يكون تمهيدا لنقدم من خلاله تصورا واضحا عن نسيان الإنسان لنفسه. المسألة التي يذكرها القران عقوبة تكوينية للمعرضين الغافلين عن ذكر الله الناسين لله تعالى واليك ألان توضيحا لمعنى نسيان الإنسان لنفسه.

**شطر شخصية الإنسان:**

الإنسان شطران:

الشطر الأول: الروح، والنفس، والعقل، والفؤاد، والقلب، والضمير، والارادة، والفطرة....

الشطر الثاني : الجسم .

وقيمة الإنسان بالشطر الأول، والشطر الثاني لا يزيد ان يكون المركب الذي يحمل الشطر الأول.

ومن خلال الشطر الأول يكون تكامل الإنسان، ويتم عروج الإنسان إلى الله، وينزع إلى الله، ويدعوا الله، ويرجو الله، ويصل حبله بحبل الله، ويعبد الله، ويذكر الله، ويتكل على الله، ويعرف الله، ويستشعر معنى العبودية والربوبية.

ولهذا الوعي لَذّاًت عقلية ونفسية، لا تضاهيها لذات الجسد عندما يستجيب الإنسان لحاجياته وغرائزه.

ومن خلال هذا الشطر ينال الإنسان الأيمان والاخلاص والمعرفة ، ومن أفاق هذا الشطر من شخصية الإنسان الضمير الذي يحاسب الإنسان ويحاكمه ويوبخه ويُعَدّل سلوكه ويحفظه من الانزلاق والسقوط والاستقامة.

ومن أفاق هذا الشطر الحياة، والعفاف، والنزاهة، والتقوى، والزهد، والحلم، والصبر، والمقاومة، وعزة النفس، واباء الضيم، والعدل، والانصاف، والانعطاف، والنجدة، والنبل، والشرف، والصدق، وحب الخير، ورفض المنكر، وطلب المعروف .... وما لا اطيق احصاءه من القيم التي أودعها الله تعالى في نفس الإنسان.

ومن أفاق هذا الشطر: إبتغاء الهداية، والنفور من الضلال والتمييز بين الهدى والضلال وابتغاء الحق، والنفور من الباطل وتمييز الحق عن الباطل، والدفاع عن العدل والنفور من الظلم.

ومن أفاق هذا الشطر: الرحمة والحب بعرضهما العريض الذي يُغَطّي مساحة وأسعه من حياة الإنسان.

ومن أفاق البصيرة والوعي، وما يرزق الله تعالى الإنسان من النور في قلبه.

ومن أفاقه هذا الشطر الطاعة وقبول التكليف والإحساس بالمسؤولية ومن أفاق هذا الشطر الانجذاب إلى الكمال والجمال وأتباعهما والابتهاج بهما.

**حدائق الصدور والقلوب:**

وليس بوسعنا ألبته أن نستعرض في هذه الصفحات مشاهد الجمال والجلال والقيم والمعرفة والأيمان والتقوى .. التي أودعها الله تعالى في خزائن النفس، فهي حدائق غناء حقّاً، إذا رعاها الإنسان، وراقبها، وقومها، وزكاها.

عندئذ يبتهج الإنسان بما رزقه الله في نفسه من القيم، والمواهب، والمعرفة، والأيمان، والإخلاص، ومشاهد الجلال والجمال، ومباهج النفس، كما يبتهج الفلاح عندما يدخل حديقته الغناء بأشجارها الباسقة، وظلالها الوارفة، وثمارها اليانعة، وأزهارها العبقة، وأنهارها وسواقيها الجارية، والطيور التي تغرد على أغصان الأشجار، ونفحات الرياح التي تحمل نكهة الأوراد والرياحين، كذلك صدر الإنسان وفؤاده وقلبه عندما يرعاها صاحبها، ويزكيها ويراقبها، وما أجمل تعبير الإمام زين العابدين عليه السلام في المناجاة [1].

---

١- ينسب إلى الإمام زين العابدين(١)

(الهي فاجعلنا من الذين ترسخّ أشجار الشوق أليك في حدائق صدورهم، وأخذت لوعة محبتك بمجامع قلوبهم، فهم إلى أوكار الأفكار يأوون، وفي رياض القرب والمكاشفة يرتعون، ومن حياض المحبة والملاطفة يكرعون، وشرائع المصافاة يردون، قد كشف الغطاء عن أبصارهم، وانجلت ظلمة الريب عن عقائدهم، وانتفت مخالجة الشك عن قلوبهم وسرائرهم، وانشرحت بتحقيق المعرفة صدورهم، وعذب في معين المعاملة شْربهم، وطاب في مجلس الأنس سرْهم، وأمن في مواطن الَمخافة سربهم، واطمأنت بالرجوع َإلى رب الأرباب أنفسهم، وتيقنت بالفوز والفلاح أرواحهم، وقرّت بالنظر إلى محبوبهم أعينهم، واستقر بادراك السؤل ونيل المأمول قرارهم، وربحت في بيع الدنيا بالآخرة تجارتهم.

ويقول عليه السلام في المناجاة المنسوبة اليه:

(الهي ما ألذ خواطر الالهام بذكرك على القلوب، وما أحلى السير أليك في مسالك الغيوب، وما أطيب طعم حبك، وما أعذب شرب قربك)

**الصدور القاحلة:**

فإذا اعرض العبد عن الله، ونسى ذكر الله، وعصى الله تعالى، وشاق الله، ولم يرجع، ولم يتب، ولم يقلع عن معصية الله، ولم يتذكر... بدأت هذه الحديقة الغناء بالضمور والذبول والجدب، ويستمر الضمور والجدب والذبول في هذه الحديقة، كلمّا استمر الإنسان في الإعراض عن الله ومعصية الله ونسيان ذكر الله، والامعان في مشاقة الله، حتى تنقلب تلك الحديقة الغناء إلى صحراء قاحلة، لا يجد فيها صاحبها غير الشوك والعوسج، ولهيب الرياح اللافحة.

ويسلبه الله تعالى كل ما رزقه الله من المباهج، واللذات النفسية، والقيم، والمواهب، ومعارج اللقاء بالله، ولذات اللقاء والقرب، وتنقلب نفسه وصدره، كما قلنا إلى صحراء قاحلة لا يجد فيها غير الريب والشك والنفاق والضلالة.

إنَ تعبير الإمام زين العابدين عليه السلام في الصدور المؤمنة بالحدائق تعبير رقيق ودقيق، فكما تحتاج الحدائق إلى سقي ورعاية وتشذيب، كذلك حدائق الصدور تحتاج إلى تزكية ومراقبة ومحاسبة وتذكير ووعي وانتباه.

فإذا غفل الإنسان عن ذلك خسر ما وهبه الله من القيم والمواهب ومباهج النفوس.

إنَّ الفطرة السليمة، والقلب الواعي، والضمير اليقظ المراقب، والعقل النّير، وما جعل الله تعالى في نفس الإنسان من قيم الأخلاق، ومعارج الكمال، ومشاهد الجمال في النفس، يفقدها الإنسان بالتدريج، أذا لم يراقبها ويهذبها ويرعاها ويزكيها.

فيصيبه الجدب والضمور والذبول كما تتصّحر الغابات والحدائق الغناء، أذا لم تجد رعاية ومراقبة، وهكذا تتحول نفس الإنسان إلى صحراء قاحلة لا يعرف صاحبها فيها غير الحسد، والريب، والشك، والكذب، والخيانة، والتهالك على متاع الدنيا، والظلم، والطمع، والجشع، والنفاق، والعنف، وسوء الظن...

وهكذا يخسر نفسه التي وهبها الله تعالى أليه وينساه.

ونسيان الإنسان لنفسه وخسارته لها عقوبة تكوينية الهية لنسيان العبد لله تعالى وذكره وشكره وطاعته وعبادته.

**الضنك والنكد:**

وصدق الله العلي العظيم حيث يقول: ﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً**﴾ طه/١٢٤. والضنك هو الضيق الشديد.

أن الإنسان عندما يخرج من رحاب العبودية، والذكر، والطاعة، والإقبال على الله يستبد له الله عنه بضيق في نفسه، وصدره، ومعيشته، ودنياه، وحتى لو كثر ماله لم يزل يعيش في ضنك في صدره ونفسه، لا يتخلص منه أبدا، حتى ينقلب من ضيق الدنيا إلى ضيق القبر، ومن ضيق القبر إلى ضيق المتقلب في الآخرة.

أن النفس بلدة طيبة، نباتها طيب، وعطاؤها طيب، فإذا اهملها الإنسان، وغفل وأعرض عن الله تحولت إلى تربة خبيثة سبخة، وكان عطاؤها نزرا قليلا نكدا. يقول تعالى **﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِداً﴾**الاعراف/٥٨.

والنكد : العسر، القليل، الذي لا يخرج إلا بعناء ومشقة. يقال نكد عيشه، أي اشتد، وعسر، ونكد البئر: قل ماءه، كذلك قلوب الذين يعرضون عن الله تعالى تتحول إلى تربه خبيثة، وعيش نكد، فلا يعرفون من أنفسهم، عندما يرجعون إلى أنفسهم، غير هذا الضيق، والشك، والريب، والتهالك على الدنيا والاستئثار والحرص والنفاق والكذب.

يحملون في أنفسهم التي فقدوها، في الوسط الحضاري المادي، الشطر السامي الذي رَكَّبَهُ الله تعالى فيه، ولا يجدون في أنفسهم نزوعا إلى الله تعالى، ولا لذة في ذكر الله، ولا

اقبالا على الله، ولا يجدون في أنفسهم حالة اللجوء إلى الله بالدعاء، عند ما تنتابهم محنه او شدة، أو ضيق، ولا يعرفون في أنفسهم رجاء في رحمة الله، ولا خوفا من عند الله، ولا ثقة بالله تعالى، ولا ايثارا، ولا رحمة، ﴿**وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى**﴾النساء/١٤٢. ويقيسون كل شيء في حياتهم بمقاييس مادية رياضية بحته.

وهكذا يفقد الإنسان المعاصر شطرا من شخصيته، ويجهلها، وينساها بالكامل، ولا يعرف في مساحة نفسه، غير الشهوات، واللذات الحيوانية، والاستئثار، والحرص، والطمع، والعنف، والغضب .

وهذا هو معنى نسيان الإنسان لنفسه، وإنساء الله تعالى الإنسان لنفسه، إذا أعرض عن الله. انه تغييب كامل لاشرف الشطرين من شخصية الإنسان عن ساحة نفسه وحياته. وحقا إنّه خسارة فادحة لا تعوض.

### الفصام والانشطار:

أن الحضارة المادية المعاصرة إستهلكت الشطر السامي من شخصية الإنسان بالكامل، واستهلكت الانسان وقيمته ومواهبه، في مباذل الحياة الدنيا، وعزلته عن الله تعالى، والإقبال عليه، والذكر، والطاعة، والإخلاص، والثقة بالله،

والتوكل على اله، والدعاء، والمناجاة، وحب الله، والشوق إلى الله، والانس بذكر الله، ومخافة الله، ورجاء الله.... ولذاتها، ومباهجها، وحصرته في دائرة الجسم الضيقة النكدة وحاجاته ومتطلباته وغرائزه في هذه الدائرة الضيقة المحدودة وهذه ثلمة رهيبة، وتخريب واسع تمت في الحضارة المادية المعاصرة، داخل شخصية الإنسان، لا يعلم فداحة الخسارة فيها إلا الله.

ولا بد من زمن طويل حتى يستعيد الغرب سلامته الروحية والنفسية مرة أخرى، والذي يلهي الغرب عن هذه الخسارة الفادحة اليوم هو التقدم العلمي(التقني) الذي أحرزه الغرب خلال القرون الاخيرة.

ولهذا الانشطار النكد مردودات تخريبية حضارية واسعة في حياة الإنسان المعاصر في الغرب، وفي بعض الحدود في الشرق، وسوف نشير إنشاء الله إلى ستة منها في التجمعات الغربية والشرقية المادية الحاضرة، ومجتمعاتنا الإسلامية المتأثرة بالحضارة الغربية.

### ١ـ التعطيل.

ليس بوسعنا أن نحدد الخسارة العظيمة التي تصيب البشرية في تعطيل أشرف الشطرين من شخصيتنا.

ولكي نقرب تصورّ عظم هذه الخسارة إلى الاذهان نقول:
تصوروا أن الناس عطلوا الشطر العقلي من المجتمع البشري لفترة محدودة في المدارس والجامعات، والمؤسسات العلمية، والدراسات العلمية، والصحف، واللقاءات العلمية.
كم تكون خسارة البشرية عظيمة أن تعطيل العقل البشري لساعة واحدة خسارة لا تعوض، ولا يمكن تقديرها بالارقام.
وأنّ خسارة تعطيل الشطر الروحي من شخصية الإنسان لا يقل من خسارة الشطر العقلي من شخصية الإنسان، ومن الحياة الاجتماعية، إلا أنّ هذا الشطر هو الذي يؤمن سلامة الإنسان وسعادته. إنّ الإنسان يشعر بفداحة الخسارة لو فقد عضواً من جسمه، يده أو ساقه مثلا، فكيف أذا كانت الخسارة في الشطر الأهم الاشرف من شخصيته.

## ٢ـ المعاناة والكآبة:

أن معاناة الإنسان كبيرة عندما يفقد شطراً من شخصيته، يشعر بالخسارة الفادحة، ويعاني من توبيخ الضمير، وتوبيخ الضمير أمر عنيف وعليه هذه المرة أن يسكت صرخة الضمير داخل نفسه، الجندي الذي يقتل جنديا في ساحة المعركة بأمر من القيادة العسكرية، دون أن يكون هناك سبب إنساني اخلاقي لذلك... إنما يقتل الرحمة في نفسه قبل أن يقتل

الجندي... ولا يقتصر الأمر عند هذا الحد. فسوف يواجه تعنيف الضمير، ولا يسلم من هذا التعنيف والتوبيخ، إلا أذا أجهز في المرحلة الثانية على ضميره، واسقطه تماماً، كما أسقط الرحمة والشفقه من قلبه قبل ذلك، وعندما يكون هذه المعاناة في نطاق فردي هاهنا وهناك يسهل الأمر، فإذا انقلبت المعانات إلى معاناة إجتماعية حضارية، تتحول في حياة الناس إلى كارثة .

إنّ الإنسان في الحضارة المعاصرة يعيش حالة من الكآبة النفسية، ولا يستطيع أنّ يتخلص من هذه الكآبة إلا باللجوء إلا السُكر والشرب، والقمار، واللهو الفاسد، لينسي نفسه، وإذا لم ينفعه كل ذلك يلجأ إلى الورقة الاخيرة الانتحار، ورغم انتشار العيادات الطبية النفسية في الغرب، إلا أن الطب النفسي لا يستطيع أن يقدم علاجا لهذه الحالة المرضية الاخذه بالتوسع.

وينطبق على الحضارة الغربية التي تحاول أن تواجه هذه الحالة المرضية بالعيادات النفسية، المثل العربي المعروف (بالصيف ضيعت اللبن).

أن الإنسان الغربي يفتقد اليوم نفسه إلتى اضاعته، وعطلته الحضارة المادية.

أعيدو أليه كرامته، وعزته، وايمانه، وقيمه، وأخلاقه، وفطرته، وضميره، ثم عطلوا كل العيادات النفسية في الغرب.

لقد كان الإمام الحسين عليه السلام يقول للناس يوم عاشوراء في كربلاء (عودوا إلى انفسكم)... وهذا هو اليوم خطابنا للحضارة الغربية أن يعودوا إلى أنفسهم كما خلقها الله.

### ٣ـ الغربة:

عندما يفتقد الإنسان نفسه يعيش حالة الغربة تجاه نفسه. ومعاناة الإنسان عندما يعيش حالة الغربة مع نفسه من أعظم المعاناة وامشاها.

أن في وكل غربة مهما كانت، معاناة الغربة من الناس، داخل الأسرة، في المجتمع، ولكن أعظم حالات الغربة على النفس أن يكون الإنسان غريبا تجاه نفسه، لا يعرفها ولا يألفها، ولا يستريح ولا يسكن إليها.

عندما يشعر الإنسان بالغربة في السفر، يمني نفسه بالعودة إلى وطنه، وإذا اوجد نفسه غريبا في وطنه يلجأ إلى اصدقاءه وزملائه، وإذا فقد الانس بالاصدقاء عاد إلى أهله، وإذا لم يكن له أهل او لم يكن يجد عندهم انساً يلجأ إلى الله والى نفسه، وهما آخر معقلين يلجأ إليها الإنسان.

فإذا كان الإنسان معرضاً عن الله، ولا يجد انساً، ولا سكوناً في الإقبال على الله، ولا يسكن ولا يستريح إلى نفسه، غريبا تجاه الله، وغريبا، تجاه نفسه، كُتِبَ عليه أن يعيش حياته كلها في غربة لا تنتهي، وكآبة لا حد لها، وعاش في بؤس وغربة وكآبة لا حد لها ولا أمر.وهو قوله تعالى(نسو الله فأنساهم أنفسهم).

إنهم اعرضوا عن الله، ونسو الله، وفقدوا الانس واللجوء إلى الله، فسلبهم الله تعالى الانس واللجوء، والسكون إلى أنفسهم. ومن يقرأ رواية (الغريب) للكاتب الوجودي (البيركامو) يعرف ما اقصده.

وبخلاف ذلك المؤمنون بالله فأنهم يلجأون إلى الله ويسكنون أليه، وتستريح نفوسهم أليه، ويألفون الناس لانهم عباد الله، ويسكنون إلى أنفسهم، ويألفون حتى الطبيعة، وقد كان رسول الله ﷺ يسمي ملابسه وفرشه ودرعه وسيفه كما نسمي نحن ابنائنا وبناتنا، وكان يقول عن النخلة (عمتنا النخلة) ومر بجبل احد فقال (هذا جبل يحبنا ونحبه) الف وأُنس ومحبه لله تعالى ولعباده وخلقه، وبالتالي انس ومحبة وانسجام مع النفس ومع الناس، ومع الطبيعة.

**٤ـ الفراغ:**

يعاني الإنسان اليوم من فراغ واسع في حياته اليومية، والفراغ عذاب في حياة الإنسان أذا لم يجد ما يملاءه بصورة صحيحة موجّهه .

وقد وزع الله تعالى وقت الإنسان إلى ثلاثة اجزاء متعادلة حسبما خلق الإنسان وهو تعالى ادرى بما خلق.

جزء الله تعالى، وهو حاجة الشطر السامي الروحي من شخصية الإنسان، والذي تحدثنا عنه، وقلنا أنَّ الحضارة المادية المعاصرة قد ألغت هذا الشطر، ودفعته عن حياة الإنسان، وجزء للعمل خارج الدار أو داخله حتى تتحرك عجلة الحياة، وجزء ثالث للإنسان نفسه يختص به لراحته في الدار، عند أهله، ونومه والاستجابه لحاجات الجسم، وهذا هو التقسيم الصحيح للوقت.

وقد كان رسول الله ﷺ يقسم وقته اثلاثاً جزء لله تعالى، وجزء للناس (وهو جزء العمل)، وجزء لنفسه وأهله ثم جزّء جزءه بينه وبين الناس، وكان من سيرته ﷺ إيثار أهل الفضل، وقسمّه على قدر فضلهم في الدين.

وهذا التقسيم قائم على أساس الحاجات الأساسية التي خلقها الله تعالى في الإنسان.

وعندما يحصل خلل، ويتعطل شطر من شخصية الإنسان يشعر الإنسان بالفراغ في حياته اليومية، وقد حصل هذا الأمر في الحضارة المادية الحديثة بصورة رهيبة ومخيفة. فقد عَطّلت هذه الحضارة بثقافتها المادية ومؤسساتها الشطر الروحي من شخصية الإنسان... وترك هذا التعطيل فراغاً واسعاً في حياة الناس عموماً وبشكل خاص في حياة الشباب، والفراغ كما ذكرنا عذاب ومعاناة، ويحتار الناس كيف يملؤون هذا الفراغ وتسمع كثيراً من الناس أنَّهم يلجأوون إلى اللهو لقتل الوقت، وهو تعبير دقيق وواقعي، ويعبر عن بؤس الإنسان المعاصر والحضارة المعاصرة.أنّ الزمن راس مال الإنسان، وبه يرقي الإنسان مدارج الكمال الروحي، والنفسي، والعقلي، والعلمي، والاجتماعي، وسبب تخبّط الحضارة المادية المعاصرة تحول الزمن في حياة الإنسان المعاصر إلى مشكلة ومعاناة لا يحلّها إلا قتل الوقت كما يقتل الإنسان عدوه.

وكان لابد للحضارة المادية المعاصرة من تخطيط وتفكير للقضاء على ظاهرة الفراغ وبصورة خاصة في حياة الشباب، لان الفراغ في حيات الشباب يمكن أن يتحول إلى حالة في التخريب الغوغائي.

فاستحدثت الحضارة المادية مؤسسات كثيرة لهذه الغاية من قبيل دور القمار والملاهي والافلام السينمائية المثيرة، التي تجذب الشباب وتستفرغ وقتهم، والاثارة في الافلام تتم غالباً، من خلال عاملي الجنس والعنف وهما العاملان الاكثر جذباً للشباب.

أن الرياضة حاجة ضرورية للشباب، لا شك في ذلك، ومن يناقش في هذه الحقيقة لا يفهم دور الشباب وحاجاتهم، ولكن الاهتمام الكبير الذي تبذله المؤسسات الحضارية والحكومية اليوم لكرة القدم على الصعيد العالمي شيء أكثر بكثير من حجم هذه الحاجه في حياة الشباب.

أن المؤسسات الشبابية في الدول والانظمة لا تستجيب فقط لحاجة الشباب إلى الرياضة في اعطاء هذا الدور الواسع لمباريات القدم، وإنما تستجيب لحاجة أخرى عرفوا ذلك آم لم يعرفوا، وهي الحاجة الحضارية الملحة لملاء الفراغ في حياة الشباب، واستهلاك هذا الفراغ الواسع بطريقة ذكية وفي نفس الوقت ضمن منهج علمي لا يمكن انكاره ولا التشكيك فيه. وحاجة اخرى في نفوس الحكام: لئلا يجد الشباب فرصته للاعتراض عليهم، واشعال نار الثورة في البلد.

ورغم كل هذه الجهود الدولية المنظمة لادارة وتنظم اوقات الفراغ في حياة الشباب... يبقى الفراغ مشكلة كبيرة في حياة هذا الجيل، عجزت الحضارة المادية من علاجها.

والعلاج الصحيح، دون أن ننفي الرياضة وكرة القدم... هو التوزيع الثلاثي الصيحيح للوقت بين الشطر الروحي لشخصية الإنسان أوّلا والعمل والمعيشة ثانياً وحاجة الإنسان إلى الحياة العائلية والراحة ثالثاً.

**٥ـ الهروب.**

ولكي ينقذ الإنسان المعاصر نفسه من هذه المعاناة والكآبة والغربة التي يعيشها من اعماق نفسه، ولا سيما اجيال الشباب، يهرب الشباب إلى الجنس والعنف والمخدرات لينسون أنفسهم ويهربون من مأساة الضياع والتعطيل الحضاري التي يعيشونها.

أن تجارة المخدرات واستعمالها الواسع رغم كل الجهود الدولية التي تبذلها الدول تنذر المجتمعات الإنسان بالخراب والدمار.

ولقد كانت زراعة المخدرات وصناعتها رائجة وشائعة من زمن قديم، ولكنها لم تكن تشكل كارثة إنسانية كما هو الحال اليوم.

والسبب في ذلك أنها لم تكن في يوم من الأيام مأوى يلوذ اليه الإنسان من معاناة حضاريه واسعة.

لقد كانت هناك معاناة وكآبة ومخدرات من قبل، ولكن والمعاناة والكآبة لم تكن حالة حضارية ناتجة من قسر حضاري للإنسان في التخلي عن شطر من شخصية، كما هو اليوم، ولذلك تحولت المخدرات اليوم إلى كارثة إنسانية على وجه الأرض .

**٦ـ الانتقام:**

وأخيراً، وليس آخراً الإنسان المعاصر يعلم اليوم أن الحضارة المادية التي صممت بمعزل عن هدى الله وانبيائه عليهم السلام... هي المسؤولة عن معاناته ومحنته.

وهذا الاحساس يجده جيل الشباب أكثر من أي فئة عمرية أخرى... وذلك أن الإنسان في هذه المرحلة من العمر أكثر احساساً ووعياً وإنفتاحاً ورهافة في الحسن من غيره. هولاء يشعرون بالخسارة وفداحة الخسارة بصورة فطرية من خلال الفطرة المتبقية لهم.

ويعرفون أنَّ هذه الحضارة بصبغتها وتوجهاتها وثقافتها المادية هي المسؤولة عن هذه الخسارة، وهذا الاحساس

الذي يتكون ويترتب في اعماق اللاشعور عند هذا الجيل، كما يقول فرويد، يولد لديهم إحساساً مبهماً من السخط والغضب تجاه هذه الحضارة وثقافتها ومؤسساتها، وميلاً إلى الانتقام من هذه الحضارة ومؤسساتها.

وقد لا نستطيع أن نقدم تحليلاً واضحاً لهذا السخط الكامن في نفوس الشباب والنزوع إلى الانتقام على السطح الظاهر من الشعور ولكن دراسة تحليلية نفسية على طريقة الدراسات الحديثة في التحليل النفسي توصلنا إلى هذه النتيجة أن الحالات الغوغائية الكثيرة والآخذه بالتوسع في سلوك الشباب عندما يخرجون من ملعب كرة القدم، وقد خسر الفريق الذي يؤيدونه، أو أن الحكم قد حكم بحكم في هذا الفريق بخلاف ما يريدون... او غير ذلك ليس له تفسير إلا هذه الحالة النفسية من في اعماق اللاشعور.

وقد قراتم ورايتم كثيرا على صفحات الفضائيات كيف يخرج الشباب من الملعب زرافات هائجه يحطمون واجهات المحلات ويحرقون السيارات ويشتبكون مع رجال البوليس.

وقد قرا الناس يجمعا المسيرة الغوغائية لشباب الانكليز في تشييع الاميرة الانكليزية التي ماتت في حادث سير قبل ربع قرن(تقريباً).

ولا ينسى الأمريكان ثورة الزنوج في ولاية لوس انجلس في أمريكا التي كادت أن تؤدي إلى سقوط حكومة الاقليم.

وبين حين وحين نقرأ في الصحف عن شباب يشهرون السلاح في المدارس والشوارع ودور السينما ويقتلون من يجدونه امامهم من غير تشخيص.

والحوادث التي تجري في أوساط الشباب من هذا القبيل كثيرة جداً، ولا يمكن تقديم تفسير واضح ومعقول لها في هذه المساحة الواسعة العالمية إلاّ على النهج الذي فسرناه نحن في هذه الدراسة.

أن جيل الشباب يشعر شعوراً غامضاً بإجحاف وظلم حضاري واسع جرى عليه من قبل الحضارة المادية الحاضرة، وأنّ هذه الحضارة هي المسؤولة عن بؤسه وحرمانه وضياعه، مثلهم مثل ناس سلبوا منهم بيوتهم، واموالهم، ومعيشتهم

وتركوهم ضائعين على ارصفة الشوارع، ليس لهم مأوى، وليس لهم قوة على استرداد بيوتهم واموالهم..

يعيشون في الشوارع، وينامون على الأرض، فيثورون بين حين وآخر على الذين سلبوهم استقرارهم واموالهم وبيوتهم في حركة انتقامية عشوائية غير هادفة.

نحن نعتقد أن الحركات الغوغائية، والهياج، والعنف الاجتماعي، الذي نجده عند اجيال الشباب في الغرب يحمل من حيث يشعر هؤلاء . أو لا يشعرون هذا المعنى الانتقامي الحضاري الذي تحدثنا عنه.

# الفهرس